توافق الأسرة واستقرارها
في ضوء تعاليم الإسلام

التساؤل السابع:

ما أهم الجوانب المرتبطة باستقرار الأسرة في ضوء تعاليم الإسلام؟

- أهداف الإسلام من تكوين الأسرة.
- مقومات بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام.
- بعض المحكات لقياس درجة التوافق والتماسك.
- المفاهيم الأساسية في العلاقات الزوجية من منظور الإسلام.
- موقف الإسلام من الزواج.
- أهم الأهداف التي تحقق للأسرة استقرارها.
- أثر التوافق الزواجي على تنشئة الأبناء.

توافق الأسرة واستقرارها فى ضوء تعاليم الإسلام

التساؤل السابع:

ما أهم الجوانب المرتبطة باستقرار الأسرة فى ضوء تعاليم الإسلام؟

أهداف الإسلام من تكوين الأسرة:

يهدف الإسلام من تكوين الأسرة إلى أن يحقق بالغريزة المقاصد الصالحة والعليا للإنسان فى هذه الحياة، وترجع هذه المقاصد إلى الأمور التالية:

١ ـ إشباع الدافع الجنسى على نحو يصون العفة، ويحفظ الأعراض.

٢ ـ الحفاظ على بقاء النوع الإنسانى وصيانته من الانقراض.

٤ ـ نقاء النسل، وصيانة الأنساب من الاختلاط.

٥ ـ صيانة المجتمع من التحلل والفساد.

إن البيت يمثل المكان الذى ينطلق منه الإنسان للمشاركة فى الحياة الخارجية، وهو المكان الذى يعود إليه بعد أن يمارس خبرته الاجتماعية.

مقومات بناء البيت السعيد فى ضوء الإسلام:

ـ تكوين رباط اجتماعى متين.

- تحقيق حاجات الطبيعة الإنسانية.
- تحقيق الوقاية من الأمراض والانحرافات.
- إنجاب ذرية صالحة لبناء أمة صالحة.
- تطبيق مبادىء إسلامية وسنة نبوية.

المفاهيم الأساسية في العلاقات الزوجية:

إن العلاقات الأسرية هي: «العلاقات التي تجمع بين مجموعة من الأفراد تربطهم رابطة الدم والقرابة، وهي تبدأ بالزوجين لتتسع وتمتد فتشمل الأولاد وأقارب الزوج والزوجة».

١ - إن القاعدة الأساسية في الزواج في الشرع الإسلامي أن الزواج عقد مبارك بين الرجل والمرأة يحل به كل منهما للآخر. وقد صور الله سبحانه وتعالى العقد الزواجي بالميثاق الغليظ، الذي يجب أن يلتزم به كل من الزوجين لقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء ٢١]. إن الزواج ليس أمراً دنيوياً فحسب، بل هو رباط مقدس بين الرجل والمرأة ينتفعان به في حياتهما انتفاعاً خليطاً بين دين ودنيا؛ فكما هو استمتاع جنسي، وارتياح نفسي، وتعاون في البيت والسوق بين رجل وامرأة، فهو كذلك تعفف وتصون عن الشهوات الحرام وهو كذلك سبب للتناسل الشرعي ومحفظة للأنساب بينهما وبين الآخرين. بناء على هذه القاعدة الرصينة، تبنى مفاهيم التوافق الزواجي في الشريعة الإسلامية وآليات تحقيقه.

٢ ـ وتبدأ هذه المفاهيم بمعرفة أن الإنسان تربطه بكل ما في هذا الكون شبكة علاقات تسير وفق سنن ربانية واضحة؛ حيث تربطه بخالقه علاقة العبودية الكاملة الشاملة لكل عبادته ومعاملاته. وتربطه بالحياة الدنيا علاقة الابتلاء بما فيها من نعم وموجودات والتكليف. كما تربطه بالكون الذي يحيط به علاقة التسخير؛ حيث سخر له الله كل ما في هذا الكون لخدمته.. فهل هو قادر على المحافظة عليه وعدم إفساده. كما تربط الإنسان علاقة بأخيه الإنسان وهي علاقة العدل والإحسان كحد أدنى لاستمرار الحياة على هذه الأرض، وتربط الإنسان بالحياة الآخرة علاقة مسؤولية وجزاء؛ حيث تمثل تلك العلاقة خلاصة العلاقات جميعها ونتيجتها بعد أن يبعث الإنسان ويحاسب ويجازى.

٣ ـ وضح الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ومن خلال سنة نبيه محمد ﷺ شبكة للعلاقات الإنسانية بين البشر حيث جعل أسس العلاقة بين الإنسان والآخر هي الأخوة حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠]. وجعل جوهر هذه الأخوة هي علاقة العدل والإحسان. حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠].

٤ ـ أن العلاقة الزوجية هي من أبرز الصور لعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان، فالزوجين قبل أن تربطهما العلاقة الزوجية فهما تربطهما علاقة الأخوة في الإسلام التي تبنى على العدل والإحسان، ولما ارتبطا بعلاقة الزواج زادت عليها علاقات السكن والمودة والرحمة، والمسؤولية.

موقف الإسلام من الزواج:

إن الزواج في الإسلام أمر فطري ومطلوب، حيث لا رهبانية في الإسلام فقد قرر الإسلام أهمية الغريزة، فرغب في الزواج وحرم التبتل والرهبانية، وعنف الرسول ﷺ من أرادوا الإعراض عن الزواج طلباً للقربى من الله وسمى ذلك انحرافاً عن سنته وهديه، عن أنس بن مالك: (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: أين نحن من النبي ﷺ؟ فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني) (رواه البخاري). فالزواج «عقد مبارك بين الرجل والمرأة يحل به كل منهما للآخر، ويبدأن به رحلة الحياة الطويلة، متحابين متعاونين متآلفين متسامحين، يسكن كل منهما للآخر فيجد في صحبته السكينة والأنس والأمن والطمأنينة ولذة العيش».

لقد حث الإسلام على الزواج؛ وقد أشار القرآن إلى وظيفة الدافع الجنسي في بقاء النوع في قوله تعالى: ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون ﴾ [النحل: ٧٢] وقوله تعالى: ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ [النساء: ١].

وحث الرسول ﷺ المسلمين على الزواج قال ﷺ: (النكاح من سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني..) وفي نظر الإسلام العلاقة الزوجية ليست علاقة تهدف فقط إلى الحصول على اللذة والمتعة، وإنما هي علاقة مودة ورحمة وسكن يشعر فيها الإنسان بالأمن والطمأنينة قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

ويرتفع الإسلام بالعلاقة الجنسية بين الزوجين إلى المستوى الصدقة، والعمل الصالح الذي يثاب الإنسان على أدائه: قال الرسول ﷺ: (وفي بضع أحدكم صدقة) قالوا: يارسول الله: أيأتي أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟ قال:(أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر) [أخرجه مسلم عن أبي ذر وأبو داوود وأحمد].

والعلاقة الجنسية، في نظر الإسلام، علاقة إنسانية يمارس فيها الزوجان مشاعر المحبة والمودة والتقدير للآخر. إن الهدى النبوي في العلاقة الجنسية يعتبر جزءاً كبيراً من التوافق الزواجي؛ لأن المرأة هي نعمة الله على الرجل، إذ يسكن إليها من لأواء العيش ولغوب الكدح والنصب، ويجد عندها الراحة والسلوى والسكينة والمتاع الذي لا يدانيه في حياة الإنسان متاع.

أهم الأمور التي يعرضها الإسلام قبل الزواج وبعده:

يريد الإسلام للرجل والمرأة أن يكون رباطهما مقدساً لا تشوبه شائبة؛ لذلك يشترط الإسلام لمصلحة الزواج خلو المرأة من موانع عديدة.

ويشترط الإسلام لصحة الزواج أن يعرض ولي المرأة زواجها على الرجل قولاً وأن يقبلها الزوج قولاً كذلك وأن يشهد على الزواج شاهدان. كما ينظر الإسلام بعين الاعتبار إلى ما قد يشترطه أحد الزوجين أو كلاهما من التكافؤ والتقارب في النسب والعلم والدين والحرية والصلاح. ولكن الإسلام يمنح المرأة حق التزوج بمن تريد ويضيف إلى ذلك إجبار وليها على تزويجها به إذا ثبت أنه عاضل لها بغير وجه مشروع.

والإسلام في منهاجه العادل يلاحظ: أن المرأة في المفهوم العام تابعة للرجل، فيتيح لها فرص الاشتراط على زوجها في عقد الزوجية إذا شاءت مثال: ألا يقلها من بلدها وألا يتزوج بأخرى.. أو أن تكون عصمتها بيدها وغير ذلك من الاشتراطات التي لا تتعارض مع مقاصد الزواج.

أما بعد الزواج فإن لكل من الزوجين تجاه الآخر حقوقاً وعليه واجبات؛ فالمرأة مسؤولة في بيتها عن رعاية شؤون زوجها وأولادها وحفظ عرضها وعرضه وتدبير أعمال المنزل بحكمة واقتصاد، وعليها طاعة زوجها ما لم تكن في معصية الله.

وقد منح الرجل في هذه الشركة الزوجية التعاونية درجة واحدة زيادة على المرأة وهي درجة القوامة والإرادة؛ فهو حامي حمى البيت، والراعي لشؤونه والمنفق على تدبيره لقوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤] وقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

إن الرجل هو راعي الأسرة والمتصرف في أمورها بعد التشاور، والتعاون مع الزوجة بما فيه مصلحة الأسرة. والرجل ملزم برعاية حقوق المرأة كاملة، حتى أدق التفاصيل وأخص في الحياة الزوجية التي ينتج عنها الاتفاق بين الزوجين.

أهم الأهداف التي تحقق للأسرة استقرارها:

من استقراء التراث النظري اتضح أن هناك عدداً من الأهداف يحرص كل من الرجل والمرأة والمجتمع على تحقيقها.. مما يساعد على استقرار الأسرة ومن هذه الأهداف - على سبيل المثال - لا الحصر ما يلي:

• تكوين رباط اجتماعي متين:

ذلك أنه عن طريق الزواج تتكون الأسرة، وعن طريقه أيضاً تتكون الروابط بين الأسر ثم بين المجتمع ثم بين المجتمع والأجناس والشعوب والقبائل المختلفة، وقد أمر الإسلام المسلمين بالتعارف على اختلاف قبائلهم وأجناسهم، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. والزواج وسيلة من وسائل التعارف والتآلف والترابط.

• تحقيق حاجات الطبيعة الإنسانية:

إن الله خلق الإنسان وأودع فيه حاجات أولية، سواء كانت عضوية أو نفسية وهي الحاجات التي لابد من إشباعها، وعدم إشباعها يؤدي إلى أضرار تقاس بدرجة ضرورتها. ومن هذه الحاجات الحاجة إلى الجنس التي تأتي في الدرجة الثالثة بعد الدافع إلى الطعام ودافع الأمومة، ويختلف

الأفراد في درجة قوة هذا الدافع، ولا يستطيع الفرد أن يستغني عن هذه الحاجة الفطرية، وقد جاء الإسلام موافقاً للفطرة ولسنة الكون.

• تحقيق الوقاية من الأمراض:

لقد أقر جميع الأطباء أن هناك أمراضاً كثيرة معدية تنتقل وتنتشر عن طريق الاتصال غير الشرعي، أو عن طريق الفوضى الجنسية، فالزواج هو وسيلة لحفظ الناس من الوقوع في شرك هذه الأمراض.

• إنجاب ذرية صالحة:

هناك غرضان مهمان من الإنجاب: الأول تحقيق حاجة في نفس الفرد، فالإنسان يحب أن يرى صورة نفسه في ولده، ويرغب أن يخلفه في الأرض ويرثه. والغرض الثاني هو إنجاب ذرية صالحة لتعمير الأرض واستمرار الأمة.

• تطبيق مبدأ إسلامي وسنة نبوية:

جعل الإسلام الزواج مبدأ من مبادئه وجزءاً من شريعته، فمن عدل عن الزواج وتركه من غير عذر فقد ترك جزءاً من الدين.

من خلال ما سبق من عرض موجز لوظائف الأسرة، يتأكد لنا أن هذه الوظائف لن يستطيع الأب والأم من تأديتها على الوجه الأكمل، إلا إذا كانت هناك درجة عالية من التوافق بينهما، مما ينتج عنه استقرار أسري يخلق جواً أسرياً صحيّاً يجعل كل واحد منهما، يقوم بالمهام المكلف بها من أجل تربية الأبناء والحفاظ على أمنهم وتماسكهم.

فالمسؤولية الملقاة على عاتق الوالدان عظيمة، فلابد أن يقومان ببيان طريق السعادة أمام أبنائهم، ولفت انتباههم إلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة.

مما سبق يتضح أن الإسلام حفظ الإنسان في جميع مراحله العمرية ونظم له علاقاته، ومن هذه العلاقات علاقة الآباء بالأبناء، فنجد الإسلام يضع الجانب العاطفي والروحي في المقام الأسمى من هذه العلاقة، فإن الأطفال يحتاجون إلى العطف والحنان، وقد جعل الله سبحانه وتعالى المرأة أكثر عاطفة من الرجل، لأنها هي تحتضن الطفل وترعاه في البيت ومنها يستقي الحنان، وحاجة الطفل إلى عواطف الأم تبدأ وهو جنين في بطنها، حيث يتغذى في أحشائها بما تتغذى به.. ولذلك أمر الحامل بالحفاظ على صحتها وصحة جنينها، والطفل لا يتغذى في حضن أمه بالحليب فحسب، بل هو إلى جانب ذلك يكتسب انفعالاتها من رضى وغضب وفرح وحزن وحب وكره، فمن هذا المنطلق ينادي العلماء بضرورة المحافظة على درجة عالية من التوافق الزواجي فيما بينهما، بحيث يعود على الأبناء الذين سيتمتعون بناء على وجوده بحياة أسرية مستقرة بعيدة عن الخلافات والمنازعات الزوجية.